

(تذكر أن) مختارات العقيدة الطحاوية الدرس الثاني

➤ ما الفرق بين القول والاعتقاد ؟

القول يعني: القول باللسان، وأمّا الاعتقاد: الاعتقاد بالقلب.

➤ لماذا بدأ بالتوحيد في هذا المعتقد؟

بدأ بالتوحيد؛ لأنه أوّل واجبٍ على المكلف، ما الدليل على أنّ التوحيد هو أوّل واجبٍ على المكلف؟ قوله -صلى الله عليه وسلم-: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

➤ ما الفائدة من ذكر هذه العبارة؟ (بتوفيق الله) (نقول في توحيد الله -معتقدين بتوفيق الله-).

أن المهتدي من هداه الله، والموفق من وفقه الله، ولهذا المسلم يستعين بربه عزّ وجلّ في أموره كلّها.

➤ كلّ اسمٍ من أسماء الله، يتضمّن صفةً لله تبارك وتعالى؛ فالواحد من أسماء الله، والواحد دلّ على صفة الوجدانية لله تبارك وتعالى، فهو واحدٌ لا شريك له، لا في ربوبيّته، ولا في ألوهيّته، ولا في أسمائه، وصفاته.

➤ هل يُقال: الألوهية؟ أو يُقال: الإلهية؟

كلاهما صحيح؛ لأنّ الله يؤلّه ألوهةً، وإلهةً، فلا إشكال إذا قال: توحيد الإلهية. أو قيل: توحيد الألوهية.

➤ هذا التوحيد أيضاً يُسمّى بتوحيد العبادة؛ لأنّ الألوهية معناها العبادة، فالله المألوه المعبود، ولهذا "لا إله" لا معبود، وفُسِّرَت بهذا؛ لأنّ الألوهية تعني العبادة، ولهذا يُسمّى هذا التوحيد بتوحيد الألوهية، أو بتوحيد العبادة، فيُقال: توحيد الألوهية، أو الإلهية، ويُقال كذلك توحيد العبادة.

➤ هناك مَنْ نفى الأسماء والصفات، وهناك مَنْ أثبت الأسماء، ونفى جميع الصفات، وهناك مَنْ أثبت بعض الصفات، ونفى بعضها، فهذا التعطيل إمّا كلي أو جزئي.

➤ أهل السنة يُثبتون لله الأسماء والصفات التي أثبتّها لنفسه، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم، وينفون مع ذلك عن الله ما نفاه عن نفسه، على وجه العموم، أو على وجه الخصوص؛ ووجه العموم كما قال هنا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

➤ وهذه الوسطية في باب الأسماء والصفات -أيضاً- في كلّ مسائل الدين، هم وسط بين الغالي والجافي؛ ففي باب القدر وسط بين الجبريّة والقدريّة، وفي باب الإيمان وسط بين الوعيديّة والمرجئة، وفي باب الصحابة وسط بين الرّوافض والنّواصب، وفي باب الخوف والرجاء والوعد والوعيد وسط بين الوعيديّة والمرجئة، فهم في كلّ بابٍ من أبواب الدين وسط بين الغالي والجافي، وما أمر الله بأمرٍ إلّا وللشيطان فيه نزغتان: إمّا غلو، أو جفاء، تجد الغالي، وتجد الجافي، فهم في هذا الباب وسط بين الغلاة الممثلة، المجسّمة -المشبهة- وبين النّفاة المعطّلة المحرّفة.

➤ إذا قيل: (ولأشياء مثله). هل هو نفى مجرّد، أو يتضمّن ضده من الكمال؟

والجواب: أنّه يتضمّن ضده من الكمال؛ فإذا نفيت المثل فمعنى ذلك إثبات الوجدانية لله تبارك وتعالى، ولهذا النفي ليس نفياً محضاً؛ بل يتضمّن إثبات ضده من الكمال.

صفات الخالق تليق به، وخصائصه تليق به تبارك وتعالى، فمن أعطى المخلوق صفات الخالق؛ كالأسماء والصفات، أو حقوق الخالق؛ كصفات الربوبية، يخلق ويرزق ويحيي ويميت، أو صرف له العبودية، التي لا تصلح إلا لله؛ كذبح، ونذر، وطواف، فمعنى ذلك أنه شبه هذا المخلوق بالخالق، حتى ولو كان هذا المخلوق ملك مقرب، أو نبي مرسل، ولهذا انظروا النبي، وهو النبي عليه الصلاة والسلام، يُقال فيه: عبد الله ورسوله، فهو عبد لا يُعبد، ورسول لا يُكذَّب، فلا يُرفع عن مقام العبودية، ومقام النبوة والرسالة، إلى مقام الألوهية أو مقام الربوبية، ولا يحط من مقام النبوة والرسالة إلى أن يكون مخلوقًا كسائر البشر؛ بل يُنزل عليه الصلاة والسلام المنزلة اللائقة به، ولهذا لماذا نقول في محمد عليه الصلاة والسلام وفي عيسى قبله: عبد الله ورسوله؟ عبد لا يُعبد؛ هذا ردُّ على الغلاة، ورسول لا يُكذَّب؛ ردُّ على الجفافة، هذه المنزلة اللائقة به، النبوة والرسالة، إذا رُفع عن هذه المنزلة، فأعطي صفات الربوبية فمعناه غلو، وتشبيهه للمخلوق بالخالق، أو عبد من دون الله، وحُلف به من دون الله، فمعناه -أيضًا- أنك صرفت للمخلوق خصائص الخالق وهي العبودية والألوهية.

قال سبحانه وتعالى في سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. هذه الآية تُعتبر قاعدة عند أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، وهذه القاعدة يمكن أن يُستنبط منها العديد من القواعد.

❖ القاعدة الأولى: أن الله عز وجل جمع في هذه الآية بين النفي والإثبات،

لماذا الجمع بين النفي والإثبات؟

لأن النفي وحده ليس بتوحيد، لو أن إنسان أخذ يمدح ويُعِدِّد ويُفصِّل في النفي، هل هذا توحيد؟ ليس بتوحيد، والإثبات وحده لا ينفي الشريك.

متى يكون التوحيد؟

عندما تجمع بين النفي والإثبات مثل كلمة التوحيد

❖ القاعدة الثانية: النفي مقدَّم على الإثبات،

قال أهل العلم: لأنَّ التخلية قبل التحلية؛ يعني تُنزَّه الخالق أولاً ثم تصفه بصفات الكمال.

❖ القاعدة الثالثة: النفي مجمل والإثبات مفصَّل

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، هذا نفي مجمل والإثبات مفصَّل، وهذا أبلغ في الثناء على الله، وهذه طريقة القرآن وطريقة النبي عليه الصلاة والسلام في سنَّته.

❖ القاعدة الرابعة: في الجمع بين النفي والإثبات دليل على أنه لا يلزم من النفي التعطيل،

لماذا؟ لأنَّ الله قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ التنزيه ونفي الصفات لا يلزم منه التعطيل؛ لأنَّ الله عز وجل قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فتنزيه الخالق ونفي المماثلة لا يلزم منه التعطيل.

❖ القاعدة الخامسة: لا يلزم من الإثبات التمثيل،

ولهذا إذا أثبت أن الله سميع بصير، هل يلزم من الإثبات التمثيل؟ لا يلزم،

❖ القاعدة السادسة: في الآية ردُّ على المعطلة والمحرفة المئولة،

المعطلة نُفَاة الصِّفَات، إمَّا تعطيلًا كليًا أو جزئيًا، **أين الردُّ؟** قوله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فهذا ردُّ على من يُعْطِلُ الصفات، أو يُحَرِّفُ معانيها، والتحريف نوعٌ من التعطيل، وإن كانوا هم أحيانًا يُسْمُونَهُ تفويضًا، وتفويض المعاني هو تعطيل؛ هو تعطيلُ لكلام الله تبارك وتعالى.

❖ القاعدة السابعة: فيها ردُّ على المشبهة الممثلة،

أين؟ في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، هؤلاء المشبهة الممثلة المجسمة لجئوا إلى ذلك فرارًا من ماذا؟ فرارًا من التعطيل، قالوا: لو أننا نرَّهنا الخالق فيلزم من التنزيه التعطيل -نقول: ليس بلازم- فأرادوا الفرار من هذا المعنى، فوقعوا في ضده وهو التشبيه والتمثيل.

المشبهة الممثلة أرادوا الفرار من التعطيل فوقعوا في التشبيه، فوقعوا فيما فرُّوا منه، لأنَّهم عطَّلوا الخالق عن صفاته اللاتقة به.

المحرِّفة المعطَّلة فرُّوا من التشبيه، فوقعوا في التعطيل، فوقعوا فيما هو أسوأ ممَّا فرُّوا منه؛ لأنَّهم فرُّوا من تشبيهه -كما يزعمون- بالمخلوقات، فشبهوه بالمعدومات.

❖ القاعدة الثامنة: قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. شيءٌ نكرةٌ في سياق النفي، والقاعدة عند أهل العلم: النكرة في سياق النفي والنهي والشرط والاستفهام، تُفِيدُ العموم.

فما العموم هنا الذي أفادته هذه الآية؟ أنَّ الله عزَّ وجلَّ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، هذا عامٌّ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وبالتالي لا يُمَاثلُه أحدٌ من خلقه، لا مَلَكٌ مقربٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، ولا ما دون ذلك من سائر الخلق.

❖ القاعدة التاسعة: في الآية إثبات اسمين من أسماء الله الحسنى،

وهما: السميع والبصير.

❖ القاعدة العاشرة: فيها إثبات ثلاث صفاتٍ من صفات الله،

في الآية إثبات ثلاث صفات من صفات الله،

□ الصفة الأولى: صفة السمع،

□ الصفة الثانية: صفة البصر؛ لأنَّه ما من اسمٍ إلَّا ويتضمَّن صفة، وهاتان الصفتان صفتان ثبوتيتان.

□ الصفة الثالثة: صفة منفيَّة، وهي نفي المثل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

النبِيُّ صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، ما معنى أحصاها حتى ينال هذا الفضل العظيم؟

حفظها، وعرف المعنى، وعمل بالمقتضى، ولهذا مثل هذه القواعد تُعينك على حفظها ومعرفة المعاني، وكذلك تُعينك على اللوازم والمقتضيات، فيكون لديك هذا الفقه، وهذا هو الفقه، «وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، هل المقصود هنا هو نفي وجود الآلهة، أو نفي لحقيقتها؟ نفيٌ للحقيقة، توجد معبودات، حقيقةً هي موجودة، ولكن هذه المعبودات باطلة، فإِذْنُ النفي هنا نفيٌ للحقيقة، بناءً على هذا المعنى، فما معنى لا إله إلا الله؛ لا معبود بحقٍ إلا الله.

➤ قوله: (لا إله غيره): يعني لا إله يستحقُّ العبادة ولا إله معبود بحقٍ إلا الله تبارك وتعالى، أمّا وجود هذه المعبودات فهي موجودةٌ في كلّ زمانٍ ومكانٍ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

➤ التوحيد بهذا التقسيم هل هو تقسيم اصطلاحي، تقسيم حادث، أو هو تقسيم شرعي؟

بالاستقراء والتتبع هو تقسيم شرعي كيف تجيب من يُنكر هذا التقسيم؟

الآية التي قال الله سبحانه وتعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥].

➤ أين وجه الدلالة فيها؟

✓ وجه الدلالة قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، توحيد الربوبية.

✓ ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾، توحيد الألوهية.

✓ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، توحيد الأسماء والصفات.

➤ أهل السنة تجدهم يعتمدون في فهم العقيدة على الكتاب وعلى السنة وعلى فهم سلف الأمة، لماذا

يعتمدون فهم سلف الأمة؟

❖ لأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أشار إلى حديث الافتراق، قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ

وَأَصْحَابِي».

❖ أثنى عليهم بأنهم هم خير القرون.

❖ أنَّ الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- هم أهل لغة، وشهدوا التنزيل، وهم حملة الدين، ورواته، هم

حفظه القرآن.

➤ أهل السنة يجعلون الوحي هو المقدم هو الإمام، بعد ذلك يأتي الفهم، أهل الأهواء تُقرّر الأحكام ثم تستجلب

النصوص بعد ذلك؛ فالنصوص عندهم تابعة، أو متبوعة؟ تابعة وليست متبوعة، بينما أهل السنة لا؛ النصوص متبوعة، هي المقدم.

➤ هم بالعكس، تُقرّر القواعد العقلية والفلسفية والمنطقية ثم تُستجلب النصوص، النصوص التي تُوافقهم

يأتون بها، تُوافق ما وافقوه من أحكام، وإذا خالفت فإنما تُردُّ وإلّا تُأوّل أو تُحرّف، فهذا هو الفرق المنهجي في طريقة الاستدلال بين أهل السنة والجماعة وبين مخالفهم من أهل الأهواء.

➤ كتب العقيدة هي أعم. كتب العقائد أوسع وأشمل فيها عموم، بينما كتب الإيمان تتعلّق بحقيقة الإيمان،

بشعب الإيمان، بزيادة الإيمان ونقصانه، بدخول الأعمال في مسمى الإيمان، في الفرق بين الإسلام والإيمان،

والغالب الرد على المرجئة، الذين يُخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان، أو يُخرجون أقوال اللسان عن مسمى

الإيمان، أو يُنكرون الزيادة والنقصان، أو تفاضل أهل الإيمان في الإيمان.

➤ وقد تشمل كتب التوحيد الأنواع الثلاثة، مثل: كتاب التوحيد لابن منده، كتاب التوحيد لابن خزيمة. فتجد

كتب التوحيد تعنى بأنواع التوحيد، وحقيقة التوحيد، وربما أحياناً يُفصّلون في بابٍ من الأبواب.

وصلّى الله على نبيّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.